مجلة المعيار ISSN :1112-4377
مجلد: 28 عدد: 1 ( رت 75) السنة: 2024

# مستويات الخطاب ومراتب البلاغة في رسالة البلاغة لأبي العباس المبرد

# *Levels of discourse and ranks of the rhetoric in Abi al-Abbas al-Mubarrad's message of the rhetoric*

د.مريم زنور[1]
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية– قسنطينة–
marianour1985.43@gmail.com

تاريخ الوصول 2023/04/15 القبول 2024/01/06 النشر على الخط 2024/01/15
Received 15/04/2023 Accepted 06/01/2024 Published online 15/01/2024

## ملخص:

ظلّت مساءلة التّراث هاجساً يسكن الدَّارسين والباحثين المعاصرين على اختلاف توجهاتهم واهتماماتهم، مشكّلاً بذلك حاجة معاصرة تستدعي القراءة والتَّأمّل، وقد جاءت هذه المقالة لتسهم في قراءة جهود المبرد النّقديّة وفق منظور معاصر، متخذة من رسالة البلاغة أنموذجاً للدِّراسة والتّحليل، والتي تعدّ من المصادر النّقديّة التي لم تلتف إليها الأقلام كثيراً، رغم ما تحمله من قضايا نقدية وبلاغية على نحو مختزل ومكثّف يعكس رؤية نقدية عميقة خاض من خلالها في العديد من الأسئلة والإشكالات التي شغلت النّاقد العربي قديماً وحديثاً، محاولين بذلك الإجابة على جملة من الإشكالات لعل أهمها: ما هي القضايا النقدية التي خاضت فيها رسالة البلاغة؟ وما هي الإضافة التي قدمها المبرد إلى الدرس النقدي والبلاغي من خلال هذه الرسالة؟

**الكلمات المفتاحية:** نقد الأدبي، بلاغة، المبرد، رسالة البلاغة.

## *Abstract:*

*The questioning of heritage has remained an obsession for contemporary scholars and researchers of all their orientations and interests; thus, forming a contemporary need that calls for reading and reflection. This article came to contribute to the reading of Al-Mubarrad's critical efforts according to a contemporary critical perspective, taking the massage of the rhetoric as a model for study and analysis, which is considered one of the critical sources that the researchers did not pay much attention to, despite the critical and rhetorical issues it carries in a short and intensive way that reflects a deep critical vision through which it delved into many questions and problems that preoccupied the Arab critic in the past and in the present. Trying to answer a number of problems, perhaps the most important ones which are: What are the critical issues in which the message of the rhetoric went through? What is the addition provided by Al-Mubarrad to the critical and rhetorical lesson through this massage?*

***Keywords:*** *literary criticism, rhetoric, Al-Mubarrad, the message of the rhetoric*.

[1]– المؤلّف المراسل: مريم زنور البريد الإلكتروني: **marianour1985.43@gmail.com**

## 1. مقدمة:

يعدّ **أبو العباس المبرد** (ت285هـ) واحداً من أشهر علماء البصرة، وأكثرهم تأليفاً وإلماماً بالأخبار والأنساب، وقد نال مكانة مرموقة بين علماء عصره وحظيت جهوده اللّغوية والنحوية بعناية الدارسين المحدثين، غير جهود المبرد لم تقف عند اللّغة والنّحو وإنما كانت له إسهامات كثيرة في الدرس البلاغي وله أراء نقدية مبثوثة في كتبه خاض من خلالها في العديد من القضايا التي شغلت الساحة النقدية في عصره، تلك الآراء لم تأخذ حظها من العناية والاهتمام لاسيما ما ورد منها في رسالة البلاغة التي تتخذها هذه الدراسة أنموذجاً للتحليل بغية كشف ما تختزله من قضايا تعكس الرؤية النقدية لدى أبي العباس المبرد.

تهدف هذه الدراسة إلى وضع **رسالة البلاغة** في سياقها التّاريخيّ من خلال ربطها بما سبق من جهود نقديّة أفاد منها المبرد في تشكيل مواقفه النّقديّة على غرار آراء **الجاحظ** (ت255هـ) و**ابن قتيبة** (ت276هـ)، وكذا ما تلاها من آراء نحو آراء **الرّماني** (386هـ) و**الباقلاني** (ت403هـ) وكذا عبد القاهر الجرجاني (ت 471هـ) وغيرهم وذلك لبيان دور **أبي العباس المبرد** في التّأصيل للدرس النّقديّ العربيّ متخذين من المنهج التاريخي سبيلاً لذلك، إضافة إلى استغلال بعض آليات نقد النقد من خلال قراءة بعض النصوص النقدية الواردة في الرسالة لاستنطاقها وكشف ما تختزله من قضايا وتصورات نقدية من خلال الإجابة عن جملة من الأسئلة والإشكالات أهمها: ما هي أبرز القضايا النقدية والبلاغية التي خاضت فيها رسالة البلاغة لأبي العباس المبرد؟

## 2.المبرد ورسالة البلاغة:

### 1.2 المبرد محطات من حياته:

واحدٌ من أشهر علماء القرن الثالث الهجري، وعالم من أهم علماء اللّغة والنحو هو "محمد بن يزيد بن عبد الأكبر بن عمير بن حسّان بن سليم(...) أبو العباس الأزدي ثم الثّماليّ المعروف بالمبرِّد، شيخ أهل النّحو، وحافظ علم العربيّة، كان من أهل البصرة، فسكن بغداد، وروى بها عن أبي عثمان المازني، وأبي حاتم السجستاني، وغيرهما من الأدباء"[1].

انشغل المبرد منذ صباه بتعلم اللّغة على أيدي علماء عصره من البصريين وكان محباً للنّحو شغوفاً به "قرأ المبرد **كتاب سيبويه** على الجَرْميّ، ثم توفي الجَرْميّ فابتدأ قراءته على المازني"[2] ، وقد جمع صاحب **طبقات اللّغويين والنحاة** ما كان عليه **المبرد** من الصفات في نص جاء فيه: "كان أبو العباس محمد بن يزيد من العلم وغزارة الأدب وكثرة الحفظ وحسن الإشارة وفصاحة اللّسان وبراعة البيان ومُلُوكيّة المجالسة وكثرة العِشرة وبلاغة المكاتبة وحلاوة المخاطبة وجودة الخط وصحّة القريحة وقرب الإفهام ووضوح الشّرح وعذوبة المنطق على ما ليس عليه أحدٌ ممّن تقدّمه أو تأخّر عنه"[3]. عاش المبرد فترة من أزهى وأخصب فترات الحضارة العربية الإسلامية، فكان لذلك أثر بالغ في تكوين شخصيته وتعميق فكره وزيادة معارفه وتشعبها، وقد انعكس ذلك جليا في كثرة مؤلفاته وتنوعها وغزارة مادتها، والمتتبع لعناوين كتب المبرد كما تذكرها كتب التراجم يلحظ أنّ هذا العالم الجليل لم يترك علماً من العلوم أو فناً من الفنون إلاّ وخاض فيه، فله كتب في اللّغة والنّحو والأدب والبلاغة إلى جانب الشعر والعروض ومعاني القرآن، وقد عدّ له

[1] البغدادي: تاريخ مدينة السلام، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 2001م، ص 603.
[2] القفطي : إنباه الرّواة على أنباه النّحاة، دار الفكر العربي، بيروت، ط1، 1986م، ص 241.
[3] الزبيدي: طبقات اللّغويين والنّحاة، دار المعارف القاهرة، دط، دت، ص 101.

**ابن النديم** أربعين كتاباً[1] في مختلف العلوم والفنون غير أنّه لم يصلنا منها إلاّ القليل لعل أشهرها كتاب **الكامل في اللّغة والأدب** الذي احتل مكانة مرموقة في التراث العربي بفضل قيمته العلمية والموسوعية التي جعلت **ابن خلدون** يصنفه ضمن الكتب الأربعة التي تمثل أصول فن الأدب وأركانه وهي إلى جانب كتاب الكامل لأبي العباس المبرد؛ أدب الكاتب لابن قتيبة، وكتاب البيان والتّبيين للجاحظ، وكتاب النوادر لأبي علي القالي البغدادي، وما سوى هذه الأربعة فتبع لها وفروعها[2]. ومن أشهر كتب المبرد أيضا كتاب المقتضب، وكتاب الفاضل، المذكر والمؤنث، كتاب الاشتقاق، وكتاب القوافي وغيرهم من المؤلفات الهامة والتي لا يتسع المقام لذكرها.

## 2.2 رسالة البلاغة "قراءة في المفاهيم والأنساق":

تعدّ الرّسالة عملية تواصلية تحمل خطاباً أو حمولة فكرية من مرسل إلى مرسل إليه، وقد تطور جنس الرسالة في النثر العربي القديم بشكل لافت مطلع عصر التَّدوين، وانعكست فيه مظاهر الحضارة العباسيَّة وما وصلت إليه من ازدهار علميّ ومعرفيّ كبير، فخاضت في الموضوعات العلميَّة والأدبيَّة وحتى الفكريَّة والفلسفيَّة متجاوزة بذلك عملية التَّواصل البسيط إلى الإنشاء الفنيّ ومشكّلة أنماط جديدة من الكتابة النثرية أضحت معها الرسالة قناة للتّواصل وتبادل المعارف في عملية تخاطب ثنائي "تعبّر عن علاقة أدبية تدعم العلاقة الاجتماعية وتغذيها، وحين صار التَّخاطب عبر الرسائل يقتضي من الكاتب أن يصوغ غرضه في لغة المثقف الملمّ بالمادة الأدبية الموروثة، ليكتسب إعجاب قارئه المساوي له في الأدب"[3]، ووفق هذا المنطلق أُلِّفت الكثير من الرَّسائل فاتحة باب التّساؤل بين الكتّاب والعلماء في شتى القضايا والمجالات المعرفية. ولعل رسالة **البلاغة** لأبي العباس المبرد نموذج من الرسائل الممثلة لهذا المستوى من أدب التّرسل. فهي رسالة جوابية مسبوقة برسالة تَساؤليَّة مدارها سؤال جوهريّ شغل النقاد والبلاغيين العرب وأسال الكثير من الحبر: "أي البلاغتين أبلغ؟ أبلاغة الشّعر؟ أم بلاغة الخطب والكلام المنثور والسّجع؟"[4] ، فأنشأ المبرد رسالة يراهن من خلالها على تقديم الإجابة الكافية لهذا الموضوع الإشكاليّ رداً على سائله (أحمد بن الواثق)، ولعل طبيعة هذا السؤال قد جعلت الرسالة ترتبط ضمنيا بواحدة من أهم القضايا النقدية التي شغلت النقاد والبلاغيين العرب وهي قضية المفاضلة بين الخطابين الشعري والنثري وما أثير حولها من نقاش أفرز الكثير من المسائل والقضايا، فقضية المفاضلة هي النّسق المضمر الذي حرّك مجمل القضايا الواردة في نص الرّسالة، وقد بنى المبرد نص رسالته وفق منهج تدرج من خلاله في بناء تصوراته حول ثنائية المنظوم والمنثور وما يكون بين طرفيها من أوجه المشاكلة والاختلاف في الخصائص الأسلوبية والبلاغية، وانطلاقا من ذلك أقام مقارنة بين مختلف الأنماط التعبيرية على المستوى البلاغي، فإذا كانت البلاغة في نظر المبرد هي "إحاطة القول بالمعنى، واختيار الكلام، وحسن النظم، حتى تكون الكلمة مقاربة أختها، ومعاضدة شكلها، وأن يقرّب بها البعيد، ويحذف منها الفضول"[5]، فيكرّس بذلك مفهوم البلاغة

[1] ينظر ابن النديم: الفهرست، دار الفكر، بيروت، دط، دت، ص 88.

[2] ينظر ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون، دار الكتاب اللبناني، بيروت، دط، 1970م، ص 553.

[3] صالح بن رمضان: الرسائل الأدبية ودورها في تطوير النثر العربي القديم –مشروع قراءة إنشائية–، دار الفارابي، بيروت، ط1، 2001، ص 157.

[4] المبرد: البلاغة، تح رمضان عبد التواب، مكتبة الثقافة الريفية، القاهرة، ط2، 1985، ص 70.

[5] المبرد: البلاغة، ص 81.

باعتبارها معطى عاماً تشترك فيه الأجناس الأدبية المختلفة، فالبلاغة "علمٌ بالكليات يطول مجال العبارة بصرف النَّظر عن الجنس الأدبيّ الذي تتشكّل فيه"[1] شعراً كان أم خطابة أم كلاما منثوراً فكلّها تسري عليها قوانين بلاغية واحدة تستمدها من معين واحد مشترك هو هذا النسق المتعالي والمجرد الذي لا يحتكره قول دون آخر من أنواع القول[2]. وبذلك تصبح البلاغة "نسق أسلوبي ثابت لا يتأثّر بأنواع الخطاب الذي يحضر فيها، وبناء عليه تصبح القراءة البلاغية وصفاً لهذا النسق الثابت واستخلاصاً لتلك القوانين الكلية المحددة سلفاً"[3].

وقد جعل المبرد البلاغة وصفاً يطال العبارة الشعرية أو النثرية بفضل جملة من الاختيارات على مستوى اللَّفظ المفرد وكذا على مستوى التركيب والدلالة لخّصها **حمادي صمود** في مستويات ثلاثة "أوّلها لغوي عام يتصل بعلاقة الدال بالمدلول، وقد بلور هذه العلاقة في لفظة «إحاطة» وفيها معنى المحاصرة والاحتواء. أما **المستوى الثاني** فيتصل بخصائص الدّال ذاته. وقد أبرزها بطريقة غير مباشرة بالتأكيد على مفهوم الاختيار كممارسة من اختصاص المتكلم أو الكاتب (...) أما **المستوى الثالث** فيخرج عن المستوى المفرد وهو مستوى «معجمي صوتي» إلى مستوى آخر يتصل بالجملة (...) واستقطب هذا الخروج مصطلح سيكون له شأن كبير فيما بعد، وهو مصطلح «النَّظم»"[4] فالكلام البليغ هو ما استطاع صاحبه تحقيق تلك المعادلة التي يجتمع فيها اللَّفظ المختار القادر على الإحاطة بالمعنى واحتوائه مع زيادة في حسن الصِّياغة والسَّبك، وهو ما ليس حكراً على جنس أدبي أو نمط تعبيري بعينه، فالبلاغة "تسعى إلى محاصرة ضوابط جودة الكلام بصرف النظر عن القالب الذي تفرغ فيه ذلك الكلام (...) ولهذا السبب تراهم يجمعون في شواهدهم القضية الواحدة بين الشعر والنثر والخطب والرسائل والقرآن ومن ثم يبقى الفارق بين شكل وآخر فارقا خارجيا لا دخل له في أصل الجودة"[5] ولعل ذلك الفارق يكمن بالدرجة الأولى في طبيعة الجنس الأدبيّ ذاته والميزات الجوهرية الفارقة الفارقة بينه وبين جنس آخر، فإذا تأملنا قوله "فإذا استوى هذا في الكلام المنثور، والكلام الموصوف المسمى شعراً، فلم يفضل أحد القسمين صاحبه، فصاحب الكلام الموصوف أحمد، لأنَّه أتى بمثل ما أتى به صاحبه، وزاد وزناً وقافية، والوزن يحمل على الضرورة، والقافية تضطر إلى الحيلة"[6]، ألفينا صاحب الرسالة يعقد مقارنة بين الخطابين المنظور والمنثور على مستوى الخصائص البنائية؛ فالبنية فالبنية الإيقاعية سمة فارقة في الخطاب الشِّعريّ تحمله على طرائق أسلوبية وبلاغية تستلزم الحيلة والمعاناة، ما يجعل مفهوم البلاغة عنده حتى وإن كان كلياً تنسحب قوانينه على أجناس الكلام المختلفة، إلاَّ أنّه في الوقت ذاته مفهوم مرن يراعي الفوارق الأجناسية في قراءته وتأويله للخطابات الأدبية المختلفة، وبذلك يقر تعريف **المبرد** للبلاغة بطريقة غير مباشرة إلى "وجود مكونات بلاغية نوعية مرتبطة بأنواع مختلفة من الخطاب؛ فإنّ البلاغة العامة في هذه الحال ينبغي أن تفسح المجال لبلاغات خاصة تستحضر المقام

[1] شكري المبخوت: جمالية الألفة- النص ومتقبله في التراث النقدي-، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، تونس، ط1، 1993م، ص 78.
[2] ينظر محمد مشبال: خطاب الأخلاق والهوية في رسائل الجاحظ –مقاربة بلاغية حجاجية –، دار كنوز المعرفة، الأردن، ط1، 2015م، ص 15.
[3] المرجع نفسه، ص ص 15-16.
[4] حمادي صمود: التفكير البلاغي عند العرب أسسه وتطوره إلى القرن السادس (مشروع قراءة)، منشورات الجامعة التونسية، تونس، ط1، 1981م، ص 345.
[5] المرجع نفسه، ص 347.
[6] المبرد: البلاغة، ص 81.

التواصلي للخطاب ومكوناته النوعية الثابتة والمتغيّرة؛ هذه البلاغة النوعية يُفترض أن تنظر إلى النصوص في علاقتها بسياقها التَّلفظي؛ أي المقام الذي أنتجت فيه: من هو المتكلّم؟ وما موضوع الخطاب؟ ومن هو المخاطب؟ وما غاية الخطاب؟ وما هو نوع هذا الخطاب؟"[1] تلك الأسئلة التي تطرحها البلاغة النَّوعية تجعل القارئ ينظر إلى النص في ضوء جملة من المعطيات المتصلة بالإطار التجنيسي والمقام التواصلي المتصل بهذا النص، فالظاهرة البلاغية في الشعر مثلا تتشكّل وفق نسق يختلف عن النسق الذي تتشكل فيه الظاهرة نفسها في الخطابة أو الرسالة أو الوصية، وحتى في الشعر ذاته تتفاعل الظواهر البلاغية والأسلوبية مع سياق القصيدة الغزلية بنمط مغير لتفاعلها مع سياقات الرثاء والفجر والهجاء وما إلى ذلك من أنماط التعبير الشعري، ولعل هذا ما جعل المبرد يذهب إلى الربط بين أجناس الكلام ومراتب البلاغة فجعلها في أربع مراتب معتمداً في ذلك على المنهج المقارن القائم على الموازنة بين مختلف الخطابات (الشعرية والنثرية والقرآنية والنبوية) لبيان الفوارق الواردة بينها على مستوى الصياغة وكيفية الإحاطة بالمعنى والتعبير عنه.

### 2.2.1 بلاغة الخطاب القرآنيّ:

نظر المبرد إلى الخطاب القرآني على أنّه يمثل أعلى درجات البلاغة والبيان، واعتماداً على مبدأ المقارنة بين الخطابين الإلهي والبشري ممثلا في الشعر باعتباره أعلى درجات البلاغة البشرية، سعى المبرد إلى بيان تعالي الخطاب القرآني على سائر الخطابات الأخرى مهما بلغت من البلاغة والبيان، فيقول: " فإذا جاء أمر القرآن نظرت إلى الشيء الذي هو أوحد، والقول الذي هو منبتٌ، ألا ترى أنّ الله جعله الحجة والبيان، والداعي والبرهان، وإنّما وضع السراج للبصير المستضيء،لا للأعمى والمتعامي"[2]، وقد كان لمنهج المقارنة الذي جاء به **المبرد** أثر في علماء الإعجاز من بعده والذين عمدوا إلى بيان تميّز الخطاب القرآني وفرادته من خلال مقارنته بالخطاب الأدبي شعراً ونثراً، ولعل ما قدّمه **أبو بكر الباقلاني** في كتابه **إعجاز القرآن** خير دليل على ذلك، حيث ذهب إلى عقد مقارنة نقدية بين نماذج من أفضل ما نظم في الشعرية العربيَّة وبين الخطاب القرآني، "ونحن نعمد إلى بعض قصائد البُحتُري فنتكلم عليها، كما تكلمنا على قصيدة امرئ القيس، ليزداد الناظر في كتابنا بصيرة، ويستخلص من سرِّ المعرفة سريرة، ويعلم كيف تكون الموازنة، وكيف تقع المشابهة والمقارنة ونجعل تلك القصيدة التي نذكرها أجود شعره"[3]، ليصل إلى أنّ التفاوت الحاصل بين طبقات الكلام في الكلام البشري لا يوجد ما يشبهه في كلام الله عز وجل، وهو ما جعل **الباقلاني** يصل من خلال جملة المقارنات التي عقدها إلى أنّ "القرآن أعلى منازل البيان، وأعلى مراتبه ما جمع وجوه الحسن وأسبابه وطرقه وأبوابه من تعديل النظم وسلامته وحسنه وبهجته وحسن موقعه في السمع وسهولة اللسان ووقوعه في النفس موقع القبول"[4] وهي النتيجة التي سبق أن وصل إليها المبرد من خلال انتهاجه المنهج ذاته فكان له فضل السبق في ذلك.

---

[1] محمد مشبال: خطاب الأخلاق والهوية في رسائل الجاحظ، ص 17.

[2] المبرد: البلاغة، ص 90.

[3] الباقلاني: إعجاز القرآن، تح السيد صقر، دار المعارف، القاهرة، دط، دت، ص 219.

[4] المرجع نفسه، ص 276.

### 2.2.2 بلاغة الخطاب النَّبويّ:

يتصدر الحديث النبوي الشريف سلم البلاغة البشريَّة، فقد علت بلاغته على كلّ قول بليغ، "وإن تأخرت في الرتبة عن القرآن إلاّ أنَّها راجعة إليه، فهي تفصيل لمجمله، وبيان لمشكله، وبسط لمختصره، وتقييد لمطلقه، وتخصيص لعامه، ومنتهى ذلك وجماعه أنّها بيان له، فكلّ قول أو فعل أو تقرير منه – صلى الله عليه وسلّم- وحي من عند الله تعالى، وراجع إلى القرآن الكريم"[1]. وهذا ما ذهب المبرد إلى إثباته انطلاقاً من المنهج المقارن الذي اعتمده من خلال الجمع بين المعنى الواحد في الخطاب الأدبيِّ شعراً ونثراً من جهة وفي الخطاب النبويِّ من جهة أخرى، " فإذا جاء قول الرّسول – صلى الله عليه وسلم- رأيته من كلِّ منطق نائباً، وعلى كلِّ قولٍ عالياً، ولكلِّ لفظٍ قاهراً"[2]، ولعل الباحث في هذا السياق يلحظ أنّ هذه الفكرة قد سبق إليها **الجاحظ** حين استهل الجزء الثاني من كتاب **البيان والتبيين** بالحديث عن البلاغة النبوية وأفرد حيّزا كبيراً للحديث عن ميزاتها وتفردها، ف "لم يسمع الناس بكلامٍ قطُّ أعمُّ نفعاً ولا أصدقُ لفظاً ولا أعدلُ وزناً ولا أجملُ مذهباً ولا أكرمُ مطلباً، ولا أحسنُ موقعاً، ولا أسهلُ مخرجاً، ولا أفصح عن معناه، ولا أبينُ عن فحواه من كلامه صلى الله عليه وسلم كثيراً"[3]. فهي مقدمة عنده لما احتوته من خصائص أسلوبية ودلالية كان لها دور بارز في استمالة المتلقي وتأثير فيه، كيف لا وهو "الكلام الذي قلَّ عدد حروفه وكثر عدد معانيه وجلَّ عن الصنعة، ونُزِّه عن التَّكلف (...) عاب التَّشديق، وجانب أصحاب التَّقعيب، واستعمل المبسوط في موضع البسط، والمقصور في موضع القصر وهجر الغريب الوحشيَّ، ورغب عن الهجين السّوقيّ، فلم ينطق إلاّ عن ميراث حكمة"[4]، والناظر في رسالة البلاغة يلحظ أنّ **المبرد** لم يبتعد كثيراً فيما ذكره من أسباب تقدّم الخطاب النبوي على غيره من الخطابات البشرية، وقد أوجزها في قوله: "فانظر إلى هذا الكلام، الذي لا زيادة فيه ولا نقصان، لا يطول المعنى، ولا يقصر عنه، وانظر إلى فخامته وجزالته؛ يقول: « كفى بالسَّلامَةِ داءً ». فأيّ كلام أوعظ، أو زجر في القلب أوقر؟ إنّ هذا الكلام ليَجِلُّ عن أن يبلغه وصف، أو يحيط بكنهه قول"[5]، فجعل الإيجاز في اللفظ والوفرة في المعنى مع الفخامة والجزالة السرّ الكامن خلف بلاغة الخطاب النبويِّ وتقدمه وبلوغه أقصى درجات التأثير في المتلقي.

### 2.2.3 بلاغة الخطاب الأدبي (المنظوم/ المنثور):

جاءت رسالة البلاغة في معرض المفاضلة بين المنظوم والمنثور باعتبارها واحدة من القضايا والموضوعات الشائكة في الفكر النَّقديِّ العربيِّ، بفعل ارتباطها الوثيق بفهم النَّاقد العربيِّ لطبيعة العملية الإبداعيَّة، وإدراكه للفروق الجوهريَّة بين الخطابين والتي تعكس مقومات **الأدبية** في كلٍّ منهما، والتي ذهب المبرد في تحديدها انطلاقا من مفهومه للبلاغة التي تمثل فهمه لمكونات النص

[1] عبد الرحيم ثابت: الظواهر البلاغية في الأحاديث النبوية دراسة تطبيقية في كتاب عمدة القاري للعيني نموذجا، مجلة المعيار، المجلد 21، العدد 41، 2016م، ص 204.

[2] المبرد: البلاغة، ص 87.

[3] الجاحظ: البيان والتبيين، تح عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط7، 1997م، ج2، ص ص 17-18.

[4] الجاحظ: البيان والتبيين، ج2، ص ص 16-17.

[5] المبرد: البلاغة، ص 90.

الإبداعي وما يجب أن تتوفر عليه من الشروط والمقومات، فـ "إحاطة القول بالمعنى، واختيار الكلام، وحسن النظم، حتى تكون الكلمة مقاربة أختها، ومعاضدة شكلها، وأن يقرّب بها البعيد، ويحذف منها الفضول"[1]، هي في مجموعها مقومات الأدبية —حسب تصوّر المبرد– والتي اعتنى فيها بعناصر العملية الإبداعية من لفظ ومعنى وبناء أو صياغة وما يرتبط بهذه الأخيرة من ضرورة مراعاة حسن الانسجام والتماسك بعيدا عن التنافر بين عناصر اللغوية للتركيب، وقد أتخذ المبرد قاعدة للحكم على مدى نجاح المبدع في تحقيق مقومات الأدبية من خلال عبارة «**يقرب بها البعيد ويحذف منها الفضول**» فيصبح المعنى في مستوى إدراك المتلقي وفهمه، فيصير "المجهول معلوماً والمحسوس مدركاً وما لا شكل له ذا شكل مضبوط يحيط به ويبين عن حدوده، وهذا الاعتبار المتين الصلة بقضية الفهم والإفهام سيؤول إلى مقياس خطير من مقاييس تقييم الأعمال الأدبيَّة في الفترات المتأخرة وسيحكم للنص أو عليه بمدى مطابقته لهذه القاعدة"[2].

ولئن استقامت قاعدة المبرد في الخطاب الإبداعي شعرا ونثرا، كان الأوّل عنده مقدّماً على الثاني "لأنه أتى بمثل ما أتى به صاحبه، وزاد وزناً وقافيةً، والوزن يحمل على الضرورة، والقافية تضطر إلى الحيلة"[3]، فكانت مزية الوزن سببا في تقديم المبرد للمنظوم على المنثور، وهو ما جعله (الوزن) أحد أهم مقومات الأدبيّة التي تحكم بنية الخطاب الشعري وتصنع فرادته وتميّزه.

**خاتمة:** نخلص من خلال هذه الورقة البحثية إلى جملة من النتائج نوجزها فيما يلي:

– تعدّ رسالة البلاغة حلقة هامة في تاريخ الفكر البلاغيّ العربيّ، فرغم صغر حجمها إلاّ أنها حملت في طياتها الكثير من القضايا والموضوعات على نحو مختزل ومكثف أسهم في تطوير الفكر النّقديّ والبلاغيّ العربيّ إلى حدّ كبير.

– اعتبر المبرد البلاغة علماً كليا تنسحب قوانينه على مختلف الممارسات الإبداعيّة اللّغويّة، غير أنّه لم يلغ التّفرد والتّميز الحاصل بين تلك الممارسات على المستوى البلاغي ما يجعل تلك البلاغة كلية ونوعية في آن واحد.

– اعتنى المبرد في تعريفه للبلاغة بعناصر الإبداعية من لفظ ومعنى مشددا على أهمية النظم والصياغة.

– رتّب المبرد مستويات الخطاب اللّغوي اعتماداً على المنهج المقارن القائم على الموازنة بين الخطابين المختلفين على مستوى الإجادة في التعبير والإحاطة بالمعنى وتحقيق الفهم والإفهام.

[1] المبرد: البلاغة، ص 81.

[2] حمادي صمود: التفكير البلاغي عند العرب، ص 346.

[3] المصدر السابق، ص 81.

## المصادر والمراجع:


- البغدادي، تاريخ مدينة السلام،( بيروت: دار الغرب الإسلامي2001م).
- الباقلاني، إعجاز القرآن، تح السيد صقر، (القاهرة: دار المعارف، القاهرة، دت).
- الجاحظ: البيان والتبيين، تح عبد السلام محمد هارون، ( القاهرة: مكتبة الخانجي، 1997م).
- حمادي صمود، التفكير البلاغي عند العرب أسسه وتطوره إلى القرن السادس، ( تونس: منشورات الجامعة التونسية، 1981م).
- ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، (بيروت: دار الكتاب اللبناني، 1970م).
- الزبيدي، طبقات اللّغويين والنّحاة، (القاهرة: دار المعارف، دت).
- صالح بن رمضان، الرسائل الأدبية ودورها في تطوير النثر العربي القديم، ( بيروت: دار الفارابي، 2001م).
- شكري المبخوت، جمالية الألفة- النص ومتقبله في التراث النقدي-، (تونس: المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، 1993م).
- عبد الرحيم ثابت، الظواهر البلاغية في الأحاديث النبوية دراسة تطبيقية في كتاب عمدة القاري للعيني نموذجا، مجلة المعيار، المجلد 21، العدد 41، 2016م.
- القفطي، إنباه الرّواة على أنباه النّحاة، (بيروت: دار الفكر العربي، 1986م).
- المبرد: البلاغة، تح رمضان عبد التواب،(القاهرة: مكتبة الثقافة الريفية، القاهرة، 1985م).
- محمد مشبال: خطاب الأخلاق والهوية في رسائل الجاحظ –مقاربة بلاغية حجاجية -،(الأردن: دار كنوز المعرفة، الأردن، 2015م).
- ابن النديم، الفهرست،( بيروت: دار الفكر، دت).